ثلاثية نظرية المعرفة

الدكتور وليد مصطفى شاويش

عادي

شرعي

عقلي

ما حقيقة تفشي الأمراض السارية؟

وهل التعارض بين الطبيعة والشريعة وهم ؟

محاضرة: عمان/ الأردن

التاريخ: 11-12-2018

الدكتور: وليد مصطفى شاويش

كلية الهندسة، الجامعة الأردنية

تفشي الأمراض السَّارية في ضوء نظرية المعرفة وأثرها في دحض وهم التعارض بين الطبيعة والشريعة

((الجمع بين حديث (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) وحديث (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ))

حديثنا اليوم في قضية منهجية بمعنى أنني لا أتحدث في حكمٍ هل هو حلال أو هو حرام، بمعنى أنه يتعلق بنظرية المعرفة:

في الحقيقة نظرية المعرفة التي سنتكلم عنها الشاملة للمعارف كلها، وسنعطيها كسلكٍ واحد بحيث ترتبط المعارف العقلية والمعارف الطبيعية والمعارف الشرعية.

المشكلة التي عقدت من أجلها المحاضرة

ماهي المشكلة الداعية إلى عقد مثل هذه المحاضرة المنهجية؟ في الحقيقة نحن في هذا الزمن نعيش حالة صراع بين العقل والدين والطبيعة والشريعة، نريد أن نناقش هل هذا الصراع ناشئ من ظروف حقيقية ومن أسباب حقيقية أم هو صراع وهمي؟ ممكن أي إنسان أن يبدع في الطبيعة وعلوم الطبيعة لكنك تجده في عالم السلوك والاعتقاد متحيراً، بمعنى علا علو كعبه بالفيزياء إلا أنه يموت وهو لا يعلم هل قوانين الطبيعة حتمية أم هي عشوائية، فتارةً يراها حتمية وتارةً يراها عشوائية، حقيقةً تشهد ثنائية العقل والدين، ثنائية الطبيعة والشريعة، ثنائيات القطيعة التي تملأ الدنيا اليوم، القطيعة بين الإنسان والطبيعة بمعنى غزو الفضاء وقهر الصحراء، القطيعة بين الرجل والمرأة وثنائيات الصراع، القطيعة والثنائية بين

رأس المال والعامل بالرغم من وجود ديمقراطيات واسعة جداً ومشهود لها بالتاريخية ومشهود لها بالتقدم إلا أننا نلحظ أن هناك فوضى عارمة تجتاح هذه الديمقراطيات بمعنى أنها أصبحت عاجزة عن إيجاد الملاءمَة بين العامل الذي يشكو من الظلم وبين رأس المال الذي يتطلع إلى وفرة في الربح، أقيمت هذه الفكرة فكرة اللا دين على أساس الصراع أيضاً بين العامل وصاحب العمل، بين الحاكم والمحكوم، الصراع بين كل شيء موجود في هذه الدنيا، العقل والدين، فهي قائمة على ثنائيات القطيعة.

نحن الآن عندما نريد أن نتكلم عن أي مسألة من المسائل، لنفترض أننا نريد أن نتكلم عن مسألة غيبية مثل يأجوج ومأجوج، أو نتحدث عن عذاب النار أو نعيم الجنة، أو نريد أن نتحدث عن مسألة في الميراث، فربما يعيينا البحث ونحن نناقش في هل هذا هو العدل أم ليس هو العدل عندما نتناقش في جزئيةٍ صغيرة، لكننا نريد أن نخرج من الصراع في الجزئي إلى محاولة رسم منظومة معرفية تقابل منظومة معرفية، بمعنى لن آتي لأناقش الولاية، الميراث، النفقة، إلى آخره من قضايا المساواة وما إلى ذلك، ثم بعد ذلك أجد نفسي تائهاً في المنظومة الكلية، لذلك نحن نريد في البحث هنا أن نستكشف نظرية المعرفة ربما لست مُوجِداً لها إنما هي موجودة ومقررة كما ستعلمون بإذن الله سبحانه وتعالى.

الله عز وجل هو خارج الطبيعة

أساس الإشكال فيما يتعلق بالواقع أن الإنسان ذهب ليبحث عن الخالق سبحانه وتعالى بين قوانين الطبيعة، بمعنى أنه يريد أن يبحث عن الله عز وجل، هذا الإله الذي يريد أن يبحث عنه داخل الطبيعة المخلوقة بمعنى أن الخالق هو داخل الطبيعة فيصل إلى نتيجة الإله الذي مات، الإله بمواصفات طبيعية يعني هو يريد أن يصنع إلهاً بين أحضان هذه الطبيعة حتى لو بلغ مهما بلغ في علوم الطبيعة من المعرفة ضمن هذا الإطار الذي وضعه لنفسه لن يعرف الله سبحانه وتعالى لأن الله عز وجل هو خارج هذه الطبيعة، فلذلك نشأت هذه الإشكالات أنه يريد أن يبحث عن إله متجسد، هذا الإله لا بد أن يكون له شكل فيزيائي، لا بد أن يكون له كم، لا بد أن يكون له حجم، ما إلى ذلك من هذه الإسقاطات المسبقة من قبل الإنسان على هذا الإله، لذلك تعددت الآلهة،

تعددت الأديان الوضعية، الدين الذي نزل من السماء طرأ عليه التحريف وإخضاع الله عز وجل إلى يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ)

(سورة المائدة: الآية 64)

إذاً محاولة إيجاد إله موافق لطبيعة الفيزياء هذه محاولة مستحيلة وهي كمن يبحث عن الماء البارد في وسط النار، إذاً عندما نتكلم عن موضوع الإعتقاد في الله سبحانه وتعالى سنجد أنّ هذه إشكالية نشأت من سبق تصور خطأ عن الله فبدأ يبحث عن الله عز وجل بهذه الصفة، كذلك المشركون كانوا يطلبون معجزات مادية خرقاً للقوانين الطبيعية حتى يصدّقوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا:

(وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا)

(سورة الإسراء: الآية 90)

إذاً كانت أغلب مطالب المشركين أنهم يريدون خرقاً لناموس الطبيعة، إذا تم خرق ناموس الطبيعة وقوانين الطبيعة بشكل اعتيادي هذا يعني أنه سيبطل المعجزة فيما بعد، لذلك الله عز وجل لم يعطهم ما أرادوا من مثل هذه الخوارق لأن هذا الخرق الدائم لناموس الكون سيؤدي في النهاية إلى إبطال المعجزة وأنها تصبح ليست ذات معنى، لذلك الفلاسفة اليوم اللا دينيون يطلبون أن يستيقظوا في الصباح فيجدون النجوم وقد اصطفت على شكل رمز أنا الله، فهو يطلب مستحيلات أو يطلب معجزات حتى يصدق بوجود الله عز وجل، لكن الله تعالى يريد أن يبين للإنسان أنك حتى لو بحثت بهذه الطريقة فلن تصل إلى الله عز وجل لذلك قال:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا)

(سورة الحجر: الآية 14-15)

إذاً طلب المعجزة والخارق المادي للوصول إلى الإيمان لن يؤدي إلى الإيمان طالما أن هناك إشكالية وهي أنك تبحث عن الله ضمن قوانين الفيزياء بمعنى هو ينطبق عليه قوانين الطبيعة، لذلك نجد أن المشكلة هي ناشئة في الربط بمعنى أن الإنسان غير قادر على أن يربط الطبيعة في ما وراء الطبيعة،

فالإشكال هنا في هذا الرابط وليس في الطبيعة نفسها، بمعنى كيف يربط بين وجود الطبيعة ومن خلق هذه الطبيعة فطالما أنّ الإشكال في الرابط حتى لو أنهم قد خرقت لهم القوانين والنواميس فلن يؤمنوا إذاً أبداً.

إذاً نتيجة الإشكال المعرفي في الله سبحانه وتعالى نتيجة إحكام قوانين الطبيعة على رب العباد سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك أدى إلى وجود أديان محرفة، ثم بعد ذلك أُعلن موت الإله نتيجة نمو الإنسان في علوم الطبيعة ذلك الإله الذي صنعوه بأيديهم هو الذي مات، ثم بعد إعدام الإله تم إعدام الإنسانية على رفاة ذلك الإله المختلق، عندئذٍ نشأت ثنائية معرفية: هي فقط إما العقل وإما الطبيعة، أما الغيب أما السماء فقد أُعلنت القطيعة مع السماء بهذا النموذج الفكري، هذا النموذج الفكري انتقل في عدوى عبر المراحل الاستعمارية إلى العالم الإسلامي فأصبحنا نشهد إنكار المعجزات، إنكار الغيبيات، إنكار الولاية، إنكار الحدود الشرعية، إنكار الإجماعات العقدية، بمعنى أصبحنا أمام ثنائية المصدر: عقل الإنسان، الطبيعة، استبعاد الإيمان بالله عز وجل وتحكيم هذين المصدرين على كل الغيبيات والإيمانيات مما أدى إلى إنكارها وإضاعتها في حياة الإنسان وزعم أن الدين متغير، ثم بعد ذلك أصبح هناك تأثيرات حتى على بعض المثقفين الإسلاميين أنه يريد أن يغير حتى في العقائد يريد أن يغير حتى في الشرائع حتى في الأحكام الثابتة ليتواءم مع نموذج معرفي مستورد.

ثنائية الهدم من الخارج في الفلسفة الغربية و إشكالية الفهم في داخل الوسط الديني الإسلامي

لذلك أصبحنا الآن أمام إشكالين: إشكال معرفي غربي لا ديني يريد أن يتحكم على الغيبيات في العقيدة الإسلامية فتشهد إنكار عذاب القبر مثلاً أو إنكار الحدود أو إنكار أحكام شرعية ثابتة كالولاية والمواريث، أيضاً كان عندنا إشكال داخل الوسط الإسلامي أنه هناك من يقول لك كل مستجد لم يفعله رسول الله، ولم يرد فيه شيءٌ ولم يثبت، حتى أصبح يفرض نموذجاً متديناً على الواقع يمنع تقدم وسير الواقع إلى الأمام، لذلك صار عندنا ثنائية هدم في الداخل تنكر مثلاً ما يتعلق بالمصالح، ما يتعلق بتقدمنا في الوسائل، إلى آخره من وسائل التقدم أصبح هذا الإنسان ينكر كل جديد، بمعنى لم يفعله رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالرغم من أنه مندرج تحت أصول عامة، فأصبحنا أمام ثنائية هدم من الخارج في الفلسفة الغربية وأمام إشكالية فهم في داخل الوسط الديني الإسلامي الذي ممكن أن يقول لك: المئذنة بدعة لم يفعلها رسول الله، المحراب بدعة لم يفعله رسول الله، وتأخذ قسطاً وافراً من الوقت وأنت تقنع فيه أن الخط في الصلاة هو مسألة وسائل وهذه الوسائل هي لحماية شيء شرعي وهو استواء الصفوف فيقول لك: لم يفعله رسول الله، يعني والمسجد مغلق يمكن أن تُخرج منه أربع أو خمس بدع قبل أن يأتي المصلون، المحراب المنبر أكثر من ثلاث درجات بدعة، طيب افرض أننا صلينا بلا منبر أو صلينا والمنبر عشر درجات هل هي وسائل أم هي عبادات توقيف؟! لذلك المحراب بدعة، البراويز التي كتب فيها آية الكرسي أيضاً بدعة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحنا أمام ثنائية هدم في الداخل وثنائية قصف عشوائي من الفكر اللا ديني من الخارج.

هذا الإشكال لا يمكن حلّه عبر أن أناقش كل مسألة جزئية بعينها بمعنى آتي إلى مسألة الولاية، أو إلى مسألة الميراث، أو آتي إلى مسألة عذاب القبر، ثم بعد ذلك ينكر مثلاً يأجوج ومأجوج، ثم بعد ذلك ندخل في تأويلات باطنية لما ثبت في القرآن وللإجماعات العقدية، لذلك لا نستطيع أن نبقى مستمرين إلى أن نعالج حالة من الشك المزمن في واقعنا الإسلامي كلما انتهينا من قضية ظهرت قضية أخرى، بمعنى كان التدين في السبعينات أو في الثمانينات يناقش حكم التلفزيون، الآن ما عاد أحد يسأل عن حكم التلفزيون، حكم التصوير، الآن ما عاد أحد يسأل عن حكم التصوير، كان الحديث عن موضوع على سبيل المثال: عذاب القبر، إذا أراد الشيخ أن يخوف الناس فإنما يأتي لهم بحديث عن عذاب القبر، إلى أن يقول لك: لم يثبت عذاب القبر فأصبح التدين ينقلب خلال فترة قصيرة، كان على سبيل المثال: من علامات التدين أن يذهب إلى البيت ويقوم بتكسير الأشرطة، أشرطة الموسيقى، الآن يقول: لا يوجد دليل على تحريم الموسيقى، إذاً نحن الآن نلحظ إشكالية أنّ التصوير كان من الشرك، الذي هو التصوير الشمسي، لكن اليوم ما أحد يتكلم في مسألة التصوير، يعني نحن أمام إنقلابات في التدين، إذاً نحن أمام إشكالات في

الجزئيات نريد أن نخرج من صراع الجزئية إلى رسم نموذج كلي هو نظرية المعرفة فنقابل النظرية بالنظرية، وعندما من يريد أن يتحدث ولو في الميراث نحن نبدأ من النظرية لا نبدأ من الميراث وبالتالي عندئذٍ نقابل الكلي بالكلي وليس جزئي مقابل جزئي لأننا لو ناقشنا على سبيل المثال الميراث ضمن الجزئي المسألة عقلانياً لا تُحَل لأنها ليست مسألة آلة حاسبة مثلاً، لكن ستجد في النهاية أن كتلة الحقوق والواجبات للمرأة متساوية مع كتلة الحقوق والواجبات وإن كان الرجل والمرأة يتفاوتان في بعض الجزئيات لكن في النهاية المجموع هو المتساوي وليس الأفراد والجزئيات هي المتساوية ومن ثم علينا أن نلحظ دائماً النظر إلى الكلي قبل البحث في الجزئي.

نظرية المعرفة

الآن أريد أن أتحدث عن هذا الكلي النظري ألا وهو نظرية المعرفة، الحقيقة لو أنا سألت بعض الأسئلة لو قلت مثلاً عذاب القبر، مثلاً قلت: لا يوجد عذاب قبر، لماذا؟ لأنه غير معقول أنّ إنسان داخل القبر منذ مئات السنين يتعذب، وأيضاً غير معقول المعراج، لأن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم صعد إلى سدرة المنتهى ثم عاد وفراشه دافئ، أين المعقولية في هذا؟ طيب لو قلنا هذا غير معقول وذاك غير معقول وذاك غير معقول ماذا سيبقى من الدين؟ لن يبقى شيء، لكن السؤال الأول: ما معنى حكم عقلي؟ أن تقول: هذا حكم عقلي، بمعنى أقول: هذا غير معقول، إذاً ما هو المعقول؟ ما هو العقل عندئذٍ؟ يكون عندنا السؤال الآتي وهو أن نبين ما يلي:

الحكم العقلي

أنواع الأحكام، أول نوع هو الحكم العقلي، ما معنى عقلي؟ أقول هذا عقلاني، كلمة عقلي ما معناها؟ لا يوجد معرفة لا يوجد فيها عقل، لا بد أن يكون العقل حاضراً، ما معنى عقلي؟ العقلي هو ما استقلّ العقل بمعرفته، معنى كلمة استقلّ، وأهم كلمة في هذه العبارة كلمة (استقلّ) يعني لو قلت :(س+1= 5) إذاً (س) كم؟ تساوي (4) هل أحتاج إلى تجربة؟ هل أحتاج إلى نبوة، خبر من النبي؟ لا أحتاج، طيب جدول

الضرب عقلاني مئة في المئة، إذاً معنى كلمة استقلّ أنني لا أحتاج إلى تجربة لمعرفة الحقيقة، فإذا قلت هنا: لا أحتاج إلى تجربة لمعرفة الحقيقة فهذا يعني عقلي، لو قلت لك: إنّ فلان نائمٌ في بيته الآن وفي نفس الوقت يبيع ويشتري في السوق، هل هذا معقول؟ مستحيل، طيب لو قلت :(1+1= 40) أيضاً مستحيل، إذاً لو قلت لك: هذه النقطة بيضاء وهي في نفس الوقت سوداء الآن هل يقبل العقل ذلك؟! لو ذهبنا إلى أي ملة من الملل لن يقبلوا هذا، جدول الضرب هل فيه عليه اختلاف بين الملل والأديان؟ لا، لأنه عقلي، إذاً يستقل العقل بمعرفته، إذاً ما استقل العقل بمعرفته فهو عقلي وهو لا يحتاج في ذلك لا إلى تجريب ولا يحتاج إلى نبوة، إذاً هو مستقل، لذلك لو قلت: الضّدّان لا يجتمعان، قاعدة عقلية، لا يمكن للشيء وضده في نفس الوقت، المتناقضان لا يجتمعان أيضاً ولا يرتفعان، المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، لكل فعل فاعل، هل هناك جسم لا هو ساكن ولا هو متحرك؟ أم لابد إما ساكن وإما متحرك؟ هل هناك جسم ليس ساكناً وليس متحركاً؟ هل هناك جسم في نفس الوقت ساكن ومتحرك؟ مستحيل هذا عقلي، لماذا؟ لأن المتناقضين لا يمكن أن يجتمعا، ولا يمكن أن يرتفعا، إذاً هذه هي القواعد العقلية، ومعنى عقلي أن العقل مستقل لا يحتاج إلى بحث.

الحكم العادي

أما النوع الثاني من الأحكام وهو الحكم العادي، هذا لا تستطيع أن تعرف فيه بالعقل مستقلاً بل لابد من التجريب مثل: الطب، الفيزياء، الكيمياء، لو قلت لك: على كم درجة غليان الماء؟ ستقول لي: أحتاج إلى تجربة، إذاً عندما أقول لك: هل الحديد يتمدد بالحرارة أم يتقلص؟ فكر وحدك مئة عام بمجرد تفكير هل تصل إلى نتيجة؟ لا يمكن أن تصل إلى نتيجة، ماذا تقول؟ أحتاج إلى تجربة، إذاً لابد من العودة إلى ماذا؟ إلى الطبيعة، لابد من العودة إلى الطبيعة، ولا يمكن أن تصل إلى نتيجة إلا إذا دخلت على المختبر وعملت تجربة، إذاً هذا نسميه عادي، لكن هذا ماذا يسمى؟ عقلي، العقل مستقل، فإذا توقف على التجريب فهو عادي، فإن لم يحتاج إلى تجريب ولم يحتاج إلى نبوة فيكون ماذا؟ عقلياً، لا يوجد معرفة في الأرض تخرج عن هذه الأحكام، سآتي بالحكم الثاني.

طيب على فرض قلت لك: أيهما أفضل للعالم الملكية الفردية أم الملكية الجماعية؟ الملكية الفردية التي هي الرأسمالية، أم الملكية الجماعية في الإشتراكية، ستقول لي: سأبحث في التفكير، عقلاني، عشرات الملايين من البشر على أن الملكية مثلاً في المعسكر الإشتراكي الجماعية أحسن، طيب وعشرات الملايين من البشر أن الملكية الفردية أفضل في الرأسمالية، من هو الذي على حق؟ كم قتيل من البشرية راحوا ضحية الصراع بين معسكر شرقي اشتراكي ومعسكر غربي رأسمالي، عشرات الملايين وكلٌّ يزعم أنه هو الصواب، من الذي يحكم بينهم وينقذ هذه العشرات من الملايين من الموت؟ من الذي ينقذ؟ صراع شامل، هل أستطيع أن أعرف أن الملكية الفردية أو الجماعية فأنقذ البشرية عن طريق التفكير العقلي؟ هل يستطيع العقل وحده أن يصل؟ ها هو العقل قد اضطرب، وخيرة العقول قد اضطربت، طيب هل أستطيع لو دخلت إلى مختبر الفيزياء والكيمياء أو البيولوجية والأحياء أستطيع أن أكتشف أيها أفضل الملكية الفردية أم الجماعية؟ هل أستطيع ذلك؟ طيب ما الحل لهذه الجرائم بحق الإنسانية ولهؤلاء القتلى؟ بعد هذه الكم الهائل من القتلى والضحايا بعد كل هذا ترجع الاشتراكية إلى إقتصاد السوق ويرجع العمال في الرأسمالية كما نرى ونشاهد ليطالبوا أيضاً بالاشتراكية وحقوق العامل والنقابات، إلى متى يبقى هذا الصراع؟ صراع دموي بين الشعوب.

طيب شح الموارد وأن الموارد شحيحة ووزعت في الأرض عشوائياً، ومن حقي أنا كقوي أن أتجاوز المتوسط إلى جنوبه ثم أسطو على تلك الخيرات واعتبرها مصالح وقانون، شح الموارد، فلسفة، كيف أعرف هذه الموارد شحيحة ووزعت عشوائياً أم وزعت بحكمة؟ إذاً عندما يعجز العقل بنفسه مجرداً عن تحديد الملكية الأفضل ويعجز المختبر أيضاً .

ثم يأتي نوعٌ آخر من الصراع، إمرأة تقول: هذا المهر من حقي، قال لها الرجل: ليس من حقك نحن ننادي بالمساواة، أريد نفقة، لا ليس هذا من حقك، نحن ندعوا إلى المساواة، الأسرة أصبحت وحدة إقتصادية، دكان، شركاء، تأتي بإبريق نأتي بكأس، تأتي بملعقة نأتي بسكين، تأتي بطاولة نأتي بكرسي، حتى إذا انفضّ المجلس كلٌّ أخذ كرسيه وكأسه وإبريقه، والميراث لا نعرفه، هل الأمم متفقة في الميراث؟ مضطربة، من الذي يفك هذا الإضطراب؟ إلى متى سيبقى هذا الإضطراب؟ إذاً نحن أمام اضطراب بشري لا يمكن

للعقل مجرداً أن يفصل فيه ولا يمكن أيضاً للمختبر أن يفصل فيه فما السبيل إلى فك هذا الصراع الذي كلّف الإنسانية الملايين من البشر؟ لذلك كانت النبوة ضرورة، النبوة ضرورة لأن العقل مستقلاً عاجزاً، ولأن المختبر مستقلاً غير صالح، لذلك لم يكن له من وسيلة إلى العلم في هذا المجال الذي هو العقدي والسلوكي الذي هو ماذا؟ الذي هو القسم الثالث الذي هو الحكم الشرعي، الحكم الشرعي الذي هو العقيدة والفقه والإحسان الذي هو ماذا؟ الأخلاق.

الحكم الشرعي

الآن العقيدة، تريد أن تعرف الحق، الصراط، الجنة، الملائكة، هل تعرفها من غير النبي؟ لا يمكن أن تعرفها من غير النبي، لذلك ماهو الشرعي؟ ما معنى شرعي؟ أنا قلت لك: هذا عقلي، وهذا عادي متوقف على التجربة، وهذا شرعي، ما معنى شرعي؟

الطلاب: الذي وضعه الشاهد.

الأستاذ: ماهو يعني؟ أعطني اختصار، ألم يُحل الشرع على العقل في العقائد؟

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)

(سورة الأنبياء: الآية 22)

الطالب: الشرعي هو الذي ورد عن طريق الوحي من الله عز وجل يعني هو ليس اجتهادي إنما نقلي، علم النقل.

طالب آخر: متوقف على الإله نفسه، مستقل.

الأستاذ: الشرعي ما تعلق به دليلٌ جزئيٌّ خاص، الشرعي: دليل جزئي خاص، ما معنى دليل جزئي خاص؟

(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)

(سورة البقرة: الآية 275)

(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) تعلق به دليل تفصيلي، (وَحَرَّمَ الرِّبَا) تعلق به دليل تفصيلي، إذاً تعلق به دليل جزئي خاص، هذا الذي تعلق به دليل جزئي خاص كالإيمان بالملائكة، به نفسه، ما تعلق بالفقه: الفقه عندنا يقسم إلى قسمين ما هما؟ عبادات ومعاملات، ماذا تعني عبادات؟

الطالب:علاقة الإنسان بخالقه.

الأستاذ: لا يوجد لنا شيء في هذه الدنيا ليست فيه علاقة مع الله، كله علاقة مع الله.

الطالب: بالمعنى الخاص شعائر.

الأستاذ: العبادات لا تصح إلا بنيّة، أيضاً توقيفية غير معللة، أول ما تبدأ بالطهارة والصلاة والزكاة أول ركن ما هو؟ النيّة، لا توجد نيّة لا تصح العبادة، طيب أول ما تبدأ بالزواج والشركات والإجارة، ما أول ركن؟ الصيغة، الإيجاب والقبول، أين النيّة؟ ونقصد بالنّيّة هنا نيّة التقرّب وليست الإرادة، وإلا في عقد الإجارة وفي عقد البيع وفي عقد الشراكة توجد إرادة، لكنني لا اتكلم عن الإرادة، وكذلك الصلاة توجد إرادة، لكن أتكلم عن النّيّة التي هي نيّة التقرّب، هل تصح الصلاة بلا نيّة التقرّب؟ لو كانت رياضة تمرين الظهر على الركوع والسجود، تصح؟ لا، الصوم بقصد الحمية هل يصح؟ لا، لابد من نيّة تقرّب، طيب شراء وقود من محطة الوقود هل يحتاج إلى نيّة تقرب حتى يصح؟ يصح ولو بلا نيّة تقرب، طيب لو تصورت بأن نيّة التقرب لابد أن تكون في تعبئة السيارة بنزين، ونسيت النية وعبّأت السيارة بنزين بلا نية ما حكم الوقود في الخزان؟ باطل، عليك أن تفك التنك ثم بعد ذلك تعيد هذا المال إلى صاحبه، الشريعة لم تشترط نية التقرب في البيوع، أحدهم أراد أن يفتح بقّالة لأجل الربح، بيعه صحيح أم باطل؟ صحيح، إذاً بإختصار عبادات لا تصح إلا بنيّة، أما المعاملات العكس تصح بلا نيّة، العبادات توقيفية، سبع أشواط، لا تزيد، سبع حصيات في الرمي، أربع ركعات، سجدة واحدة للتلاوة، سجدتان للسهو، واضح، إذاً العبادات الأصل فيها ماذا؟ توقيف والاقتصار على ما ورد، هنا قل: لم يفعله رسول الله، لماذا؟ لأن الأصل فيه ماذا؟ توقيف، أما المعاملات الأصل فيها الإنطلاق، الآن نبيع ونشتري بالإنترنت، تقول لم يفعله رسول الله؟! الآن مكبرات الصوت في المساجد، السماعات، علامة بدأ الطواف في البيت الحرام، هل أقول في هذا لم يفعله رسول الله؟ أم أنّه الشريعة أطلقت فيه؟ أطلقت، طيب تنظيم الطرق؟ أطلقت فيه الشريعة، لكن في موضوع بيع الغَرَرْ والربا أنت مُصطدم بدليل جزئي تفصيلي.

أحد الطلاب: ما معنى جزئي أو تفصيلي؟

الأستاذ: يعني آية أو حديث خاص بنفسه، يعني نقول: القرآن دليل إجمالي، لكن الآيات كل آية فيه دليل تفصيلي، السنة دليل إجمالي لكن كل حديث بنفسه ينص هذا على النهي عن شيء معين أو إباحة شيء معين بعينه نسميه دليل جزئي تفصيلي، إذاً الشرعي مشمول بدليل جزئي تفصيلي.

طيب ما معنى أنك وضعت هنا العادي وفصلته عن الشرعي؟ هذا يعني أنك تفصل واقع الحياة عن الشرع، العادي المطلق مثل: تنظيم كلية الهندسة، هذا المدرّج، تنظيم الجامعات، تنظيم المدن، تنظيم الطرق، تنظيم المؤسسات والشركات إلى مديريات وإلى أقسام متخصصة هذه الشركة أربع مديريات، وجدنا في العام القادم أن نزيدها فتصبح خمساً، في العام القادم وجدنا اختصارها فتصبح أربعاً أو ثلاثاً، هذا ما هو؟ هل شهد له الشارع بدليل جزئي أم ماذا؟ تنظيم الطرق، تنظيم حركة الطائرات، تذاكر السفر ووسائل تنظيمها، الإشارات الضوئية إشارات المرور، تنظيم المستشفى، عيادات خارجية، وإسعاف، وأقسام، هل جاء ذلك بدليل جزئي؟ بمعنى الرسول صلى الله عليه وسلم قال: قسّموا المستشفى إلى قسمين، لم يأتي بدليل جزئي تفصيلي، ومن رحمته بنا أنه لم يأتي به بدليل جزئي تفصيلي بل جاء به بدليل إجمالي الذي هو يَنْظِمْ العاديّات الذي هو المصالح المرسلة، سد الذرائع، والاستصحاب إلى آخره من مصادر الشريعة، إذاً تنظيم الطرق: ممنوع الوقوف، أو ممنوع المرور، أو الإشارة الضوئية، هل جاء فيه دليل عن الشرع الجزئي أم مشمول بدليل كلي إجمالي؟ دليل إجمالي كلي، تنظيم الحكومات والوزارات، بلغ بالحكومة خمسين وزير، خلّيها عشرة وزراء، طيب وجدنا حاجة إلى تقسيم وزارات جديدة اجعلوها خمسة عشر وزيراً، هل سأقول أين الدليل على هذا الدليل الجزئي؟ هذا لم تشمله الشريعة بأدلّة جزئية تفصيلية إنما جعلته تحت أدلّة إجمالية مثل: الوسائل – العادات – طرق انعقاد العقود بالفاكس بالتلكس بالهاتف بالتوقيع الإلكتروني هذه وسائل، استخدمت الميكروفون في الصلاة، هذه وسائل، تقول لي: غيّرت على الصلاة، لم تُغيّر على الصلاة، هذا وصف ليس في الصلاة هذا وصف مجاور للصلاة، نحن لم نغير عن الطّواف عندما وضعنا

الإشارة الخضراء بل أعنّا الطّائفين على متى يبدأ الطّواف فهذه وسائل معينة على تنفيذ الشرع ولولاها يترتب عليك تأخّر في تطبيق الشرع وأخطاء في التطبيق.

إذاً هذه العاديات مشمولة بأدلة شرعية إجمالية قادرة على أن تأتي للمجتمع الإسلامي بتحقيق مصالح واسعة، لماذا؟ لأنه هنا تحت جنس المصالح، طيب قيادة الدولة من أجل توفير مصالح للمجتمع، هل أنا أقول هل فعله رسول الله؟ هل أنا أقول أين الدليل على ممنوع الوقوف؟ أقول هذا واقع تحت دليل إجمالي كُلِّي، وعليه أنا لا اصطدم هنا مع النص، يعني لو قال مثلاً: نحن نريد أن نتعامل بالربا، نقول له: أنت الآن اصطدمت مع دليل جزئي تفصيلي، هذا باطل، قال: نريد أن نستبدل حد القطع بالسجن، قل له: أنت الآن اصطدمت مع دليل جزئي تفصيلي، لذلك هذه المساحة مساحة واسعة ومطلقة ليحلّق فيها الحاكم في تحقيق المصالح ودرء المفاسد بشرط واحد وهو أن لا يصطدم مع دليل جزئي تفصيلي، لو جئت إلى اللا دينيين سيقولون لك كيف نص نزل قبل أربعة عشر قرناً يستطيع أن يحقق مصالح للمجتمع هي في ظل دولة حديثة لها تنظيمات إدارية معيّنة، تقول له: مجمل هذه التنظيمات الإدارية مستوعبة أصلاً ضمن إطلاقات الشريعة واعتبار جنس المصالح واعتبار سد الذرائع ودرء المفاسد وبالتالي الشريعة هنا أطلقت أيدينا، لذلك لو جئنا إلى حديث صحيح مسلم لمّا النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن تأبير النخل ثم خرج شيصاً يعني لا يوجد عليه تمر الذي هو الرطب، قال أنتم أعلم بأمور دنياكم.

(ومن حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: "مَا تَصْنَعُونَ؟" قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا"، فَتَرَكُوهُ فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، قَالَ عِكْرِمَةُ: أَوْ نَحْوَ هَذَا)

(من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)

(صحيح مسلم)

على أي أمور دنياكم؟ على إجازة الربا أنتم أعلم! على إسقاط الحدود! على إلغاء الأحكام الشرعية! أم أنه يحيل إلى هذا العادي؟ إذاً من الذي أحالنا إلى العادي؟ النبوة (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) يعني عندما تريد أن تطور زراعة القمح فأنت لا تذهب لتبحث عن آية في كتاب الله تريد أن تستنتج منها كيف نطور القمح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أحالك إلى المختبر فعندما يحيلك إلى المختبر فهو الذي أحالك وميّز لك أنّ هذا الموضوع هو موضوع مختبر لذلك حديث (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) أصل كُلِّي مهم جداً في التأصيل لنظرية المعرفة في الإسلام، هناك بعضهم ظن أنه يصطدم مع العصمة فأنكره، لا بالعكس، هو أصل مهم لأنّ هذا الحديث يحيل إلى المختبر ويحيل إلى البحث العلمي، بمعنى إذا أردت أن تبحث عن علاج لفيروس معين لن تجد هذا العلاج على التفصيل في أعراضه وكيف يُكتشف في آية ذات نص جزئي في هذا الفيروس، فالشريعة لأنك لن تجده في النص الجزئي أحالتك على البحث المخبري، إذاً هنا الشريعة هي التي تحيلك إلى البحث في المختبر، وإلى المناقشة في المختبر وإلى إجراء التجريب، طيب الآن العقل إذا دخل المختبر لن تجد أن هذا العقل يتخبط أبداً لأنه قائم على الملاحظة والتجريب ورصد النتائج لأنها ضمن المحسوس الموافق لمجال العقل، لذلك العقل في بحثه في الطبيعة سيصل إلى نتائج مستقرة وصادقة، وهنا يجب إعمال البحث بإنطلاق بشرط أن لا يصطدم مع جزئي تفصيلي، بمعنى أن يسخّر البحث للإضرار بالحياة الإنسانية.

بناءً على هذا: نظرية المعرفة تتأسس ضمن إحالة الشريعة إلى هذا البحث المخبري من أجل تطوير الحياة في المختبر، أين الصراع بين الشريعة والمختبر؟ لا يوجد بل الشريعة هي التي أحالت إليه لذلك سنجد أن الشريعة هنا تتكامل مع المختبر، فما لم تجده في الدليل الجزئي التفصيلي، أين ستجده؟ في المختبر، من الذي أحالك على المختبر؟ من نفسك أم أحالك النبي؟ النبي هو الذي أحالك، فأين الصراع؟ إذاً لا يوجد صراع، إذاً أنا سآتي إلى هنا إلى المختبر والبحث في قوانين الطبيعة.

بناءً عليه صار عندي المصدر ثلاثي، في الفكر اللا ديني المصدر ثنائي، العقل متفقون على جدول الضرب، في الطبيعة والمختبر عندما تقوم بعملية تشريح أو عملية جراحية في أقصى الغرب لا يوجد فرق في عملية الزائدة بين مسلم وكافر، لا يوجد فرق، أنت تتعامل مع طبيعة ذات قانون محكوم ومرسوم، لذلك هذا لا يوجد مجال للاختلاف فيه، تطوير الزراعة نستفيد من تطوير الزراعة يأخذ مني وآخذ منه، يصنع السيارة فيمكن أن أبني على ما صنعه هو من صناعة السيارة لماذا؟ لأننا أمام شيء اتّفاقي في المختبر، اتفاقي في الصناعة.

أقسام الحكم العقلي

نأتي هنا إلى الحكم العقلي، الحكم العقلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام ما هي؟ المستحيل، الجائز، الواجب، إذاً هذا يجب أن يكون إما واجب وإما ممكن وإما مستحيل، ما معنى كلمة واجب؟ لا يُتَصَوَّر عدمه، ما معنى ممكن؟ يمكن أن يكون موجوداً ويمكن أن يكون معدوماً، ما معنى مستحيل؟ لا يُتَصَوَّر وجوده نهائياً، وهنا العقل عندما أقول هنا: الرياضيات من الأحكام العقلية، ما هو الأساس النظري للفيزياء؟ الرياضيات، ما هو الأساس النظري للكيمياء؟

الرياضيات، ما هو الأساس النظري للفيزياء والأحياء؟ الرياضيات، لماذا؟ لأنها حكمٌ عقلي لا يقبل التَّخَلُّفَ نهائياً، (س+1= 5) إذاً (س=4) قطعياً، جدول الضرب قطعي، انظر لو كان جدول الضرب متغيراً كيف تكون نتائج الفيزياء؟ كيف تكون نتائج الكيمياء والأحياء؟ ستكون نتائج متغيرة وبناءً على التغير في الرياضيات يمكن أن ينهار الكون، لأنه قائم على قواطع رياضية، تصور إذا تغيرت الرياضيات كيف تصبح حسابات البنوك! يعني أنت تذهب إلى البنك فتسحب مثلاً عندك ألف دينار فتسحب مئة دينار فيقول لك: بقي ثمانمائة دينار، تقول له: بقي تسعمائة دينار، يقول لك: تغيرت الرياضيات، ماذا تفعل عندئذٍ؟ ستتغير الدنيا كلها، ستنهار، لذلك الرياضيات هي الأساس النظري، لماذا؟ لأنها حكمٌ عقلي، طيب؛ الواجب: لا يُتَصَوَّر عدمه، الممكن: ممكن الوجود وممكن العدم، والمستحيل: الذي هو عدم وجوده أبدا.

مبدأ الكون أن له بداية

نأتي إلى القوانين الطبيعية حسب فيزياء الكم، هل قوانين الطبيعة تؤدي إلى النتائج بالعادة واحتمال التخلف ممكن لكنه ضئيل جداً وإلا لا يمكن تتخلف؟ حسب فيزياء الكم الحديثة؛ هي احتمالية جوازية، يعني ارتباطها بالنتيجة ممكن أن يتخلف ولكن ليس دائماً، دائماً إذا ألقيت الورقة في النار فإنها تحترق، لا تتصور أن تلقي إنساناً في النار ثم عندما تحاسب عند القضاء تقول: ظننت أنها جوازية إذاً لن يحترق وأنا بالتالي غير مسؤول، نقول لك: الجوازية بمعنى أنها تحصل دائماً لكنها يمكن في حالات نادرة جداً جداً جداً أن تتخلف، إذاً أصبحت عندي احتمالية جوازية، يعني إذا ألقيت الورقة في النار فيمكن إنها ما تحترق بنسبة ضئيلة وضَع جداً قدر ما تستطيع لتحافظ على قانون الله في الأرض، إذاً هي جوازية لكن (2+1= 3) ضروري أم جوازي؟ ضروري، فإذا كانت القوانين احتمالية جوازية؟ إذاً كانت ممكن أن تكون موجودة وممكن أن تكون غير موجودة، إذاً ما معنى ذلك؟ هي حادثة، فإذا كان القانون حادث وهو مترتب على حادث سابق بمعنى أن الطبيعة كل ما تراه فهو له بداية، لكن ممكن نتج عن شيء سابق، أيضاً السابق له سابق عليه.

لذلك نقول: إنّ الأكوان جميعاً تجوز عليها البداية وبناءً عليه تحتمل أن تكون موجودة وتحتمل ألا تكون موجودة، فإذا قلت لك: من حيث المخلوق ممكن أن يكون موجوداً، وممكن أن يكون غير موجود، فإذا رأيت الكون وقد كان في الاحتمال، الذي نحن نقول: محتمل أن يكون هذا موجود ومترتب على ما سبق إلى بداية، نقول: إنّ هذا الكون كان مُحْتَمِلاً لأن يكون موجوداً ومُحْتَمِلاً لأن يكون غير موجود، فإذا انتقل من غير موجود إلى موجود هل ينتقل بنفسه أم لابد من قوة ناقلة؟ لابد من قوة ناقلة، معنى ذلك لابد من قوة أخرجت الممكنات التي هي الأكوان إلى حيّز الوجود، إذاً في مُرَجِّح غير موجود انتقل إلى الوجود بماذا؟ بمُرَجِّحْ، وهذا المُرَجِّحْ هو الخالق، فنقل الكون من عالم الاحتمال موجود وغير موجود إلى موجود.

طيب لو قال لك: الله ممكن أيضاً سبقه عدم، طيب لو قلت لك: في عندي حوادث تترتب حادثة على ما قبلها وهذه على ما قبلها فإذا قلت توالي حوادث، ماذا يعني حوادث؟ يعني كلمة لها بداية إلى ما لا بداية يساوي مستحيل، توالي حوادث كلها لها بداية، ملايين مليارات البدايات في النهاية ستكون لها بداية، لأنّ ما له بداية متوقف على ما له بداية، فهل يمكن للعقل أن يتصور توالي حوادث كلها لها بداية لكن كلهم ليس لهم بداية؟ مستحيل، إذاً تكوّن مما لا بداية مما له بداية إذاً ستكون هناك بداية، وهذا هو مبدأ الكون، أنّ له بداية، من الذي ليست له بداية حتى ينقل الكون إلى ما له بداية؟ هو الله عز وجل، هل تستطيع أن تكتشفه في الطبيعة موجوداً فيها؟ مستحيل لابد أن يكون خارج العادة، وهذا سبب مأزق وضلال الفلاسفة أنهم يبحثون عن إله موافق لشروط الطبيعة، بينما هو الذي خلق الطبيعة فكيف يكون جزء منها؟ لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى شيء واجب الوجود لقطع تسلسل أشياء التي هي نسميها الحوادث التي لها بداية، لقطع هذا التسلسل لابد من موجد ليست له بداية، وهو الله سبحانه وتعالى، بناءً عليه التسلسل مستحيل، إذاً الله سبحانه وتعالى موجود ناقل للكون من الاحتمال إلى الوجود، طيب لو قلت: انتقل الكون بنفسه، عندي هنا أصبح راجح، كيف يصبح الراجح والمرجوح متساويين؟

الطالب: يعني لابد أن يكون موجوداً حتى يوجد نفسه، وهو ما كان موجود في الأصل، فلابد له من موجِد.

الإستاذ: فلابد له من موجِد، إذاً لو قلت: كما يقول ابن عاشر:

لَوْ حَدَثَتْ بِنَفْسِهَا الأَكْوَانُ لاَجْتَمَعَ التَّسَاوِي وَالرُّجْحَانُ

(عبد الواحد بن عاشر)

مستحيل الكون أن يوجد نفسه لأنه أصلاً هو ممكن وبالتالي الممكن لا يستطيع أن يمنح غيره لأنه هو نفسه مفتقر، لذلك نحن نبدأ في إيماننا بالله عز وجل من أنّ الكون مفتقر، كله مفتقر وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِي.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)

(سورة فاطر: الآية 15)

القانون موجود ويعمل لكنه لا يعمل بنفسه

إذاً بما أنّ هذا الارتباط بين ما التي هي حوادث لا بداية لها وأنّ القوانين احتمالية، إذاً إذا كانت القوانين احتمالية بمعنى ليست هي النار التي تخلق الاحتراق، نقول: إن النار لا تخلق الاحتراق، لأنها في قانون جوازي احتمالي ولو كانت ضرورية ممكن أقول لك ذلك، لكنها جوازية احتمالية، لذلك لا يمكن أن تكون النار هي المحرقة، لكن هل يعني أن الورقة تحترق بلا نار؟ نقول الارتباط بين السبب الذي هو النار ونتيجة الاحتراق ارتباط عادي بمعنى يحدث الاحتراق عند مماسة الورقة النار لكن النار لا تخلق الاحتراق، وعليه نحن نثبت القانون الطبيعي ونقول إنّ الورقة لا تحترق بلا نار بل لابد أن تحترق حتى لابد أن يكون هناك نار فأثبتنا القانون، لكن من الذي خلق الاحتراق؟ هو الله سبحانه وتعالى.

هذه الزاوية مهمة جداً في نظرية المعرفة، لماذا؟ لأنها تثبت القانون الطبيعي على أنه جوازي احتمالي وهي أيضاً تثبت الخلق المستمر لله عز وجل في الكون وأنّ هذا الخلق دائم، بمعنى نقول: الزواج سبب لإنجاب الولد مثلاً، هل الأب هو الذي خلق الولد؟ ليس الأب هو الخالق، الأب لا يعرف أن يخلق الأولاد أصلاً كيف يكون هو الخالق؟ وبالتالي نحن نقول: إنّ الارتباط بين السبب والنتيجة في الطبيعيات ارتباط جوازي احتمالي على ما تشهد به الفيزياء لذلك نقول: إنّ القانون موجود ويعمل لكنه لا يعمل بنفسه، لأنّ هناك من يُعمله، ونحن نؤمن بالقانون في الطبيعة لكننا لا ننفي أن الخلق المباشر هو لله سبحانه وتعالى، لا كما يعتقد بعض الفلاسفة أنّ الله خلق هذا الكون ضمن قوانين وبعد ذلك هذه القوانين يعني كما لو كان العالم يسير على الطيّار الآلي، لا، هناك خلق مباشر وتدبير للأمر كل لحظة.

بناءً عليه أنّ النتيجة خلقٌ من الله، وأنها تحدث بقانون، لكن الله لا يخلق بالقوانين لا يحتاج إليها بل هو خالق ب (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

(فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

(سورة البروج: الآية 16)

يخلق كما يشاء، إذاً العلاقة موجودة في القانون ونحن نثبت القانون، لكنه ليس حتمياً وفي نفس الوقت إذا تخلّف لا نقول عشوائي، بل نقول الارتباط عادي فنثبت القانون ونثبت الخلق الإلهي هذا هو صلب البحث الإسلامي في مختبر الفيزياء والكيمياء والطبيعة بمعنى أنني وأنا مقبل على رصد نتائج المختبر لا أعتقد أنّ المادة خلقت النتيجة بل إن الخالق هو الله سبحانه تعالى، ولكن أنا لا أنكر القانون بل أقول إنّ الارتباط ارتباط عادي لا ضروري، لأنني لو قلت ضروري سيترتب عليه أن النتيجة هي من فعل المادة وليست خلقاً لله سبحانه وتعالى، وأنا مستندٌ في هذا إلى نفس الفيزياء وهو أن قوانين الطبيعة جوازية احتمالية، بناءً عليه إذاً سآتي إلى أن القانون مُطَّرِد إلا في هذه الزاوية فإنه احتمالي جوازي، طيب لاحظوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ)

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ)

(رواه البخاري)

وقال:

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ)

(رواه البخاري)

العقيدة تحرر قلب الإنسان من الانصياع إلى القوانين الطبيعية

(فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ) وقال:(لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) ما معنى هذا؟ لما قال: (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ) إنما يتعامل مع قانون الطبيعة، لكن لما قال: (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) يتعامل على أنّ النتيجة خلق من خلق الله، على أنها خلق لله عز وجل، (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) بمعنى لا تظن أن القوانين هي التي تنتج وتخلق بل إن الذي يخلق المرض هو الله، إذاً لما قال: (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) فمعنى ذلك أنه يتحدث على أن النتائج خلقٌ من الله، وبناءً على هذا يقول: (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ) أنه يُعمل القانون، إذاً هل نحن في الوقاية من الأمراض نخالف قدر الله؟ لا نخالف قدر الله، بل نحن نمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم، لكن ماذا

لو اعتقدنا أن قوانين الطبيعة هي التي تخلق المرض؟ لماذا تخاف من الله إذاً خف من الطبيعة! لذلك جاءت هذه العقيدة لتحرر قلب الإنسان من الانصياع إلى القوانين الطبيعية فتحرر القلب من الانصياع إلى القوانين الطبيعة لأن الغرب نفسه عبر إيمانه المطلق بالقوانين الطبيعية حول القوانين الطبيعية إلى جبرية عقدية فلسفية فاعتبر أن الكوارث والجرائم تحدث ضمن قوانين كقوانين الطبيعة اضطرارية لذلك أعاد تفسير الجريمة تفسيراً اقتصادياً وتفسيراً على حسب الأنزيمات أو ما إلى ذلك، حتى الشذوذ الجنسي يفترض أنه بناءً على ماذا؟ على الأنزيمات في جسم هذا المريض ولم يعتبره مريضاً قال: هو هذا عذره، إذاً أعاد انتاج قوانين الطبيعة التي اعتبرها حتمية وفرضها على السلوك الإنساني وانتزع حرية الإنسان واعتبره مجبراً، مجبر على شح الموارد والأزمات الاقتصادية لا يمكن دفعها، الفساد لا يمكن دفعه، وقوع الحروب لا يمكن دفعها، الجريمة أصبحت مسألة سلوكية جبرية ضمن الفلسفة الغربية، وهذا نتيجة إعادة إنتاج قوانين الطبيعة وفرضها على الفكر والسلوك.

إذاً هو أخطأ مرتين، المرة الأولى عندما جعل قوانين الطبيعة ضرورية ثم مرةً ثانية طبقها على اعتقاد الإنسان وسلوكه، الآن أنت تسمع بالإذاعة شح الموارد، طيب شح الموارد ما معنى ذلك؟ لا يوجد علاج، إذاً علينا أن نبرر الفقر وأنه موجود وهذا خارج استطاعة الإنسان، نفس عقيدة (أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ)

(أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ)

(سورة يس: الآية 47)

إذاً الفقر حالة حتمية ما الفائدة من العلاج؟ التفاوت الطبقي حالة حتمية، السيطرة والهيمنة والاستعمار والحروب حالة حتمية، بناءً على ذلك أنكر حرية الإنسان وأعدم الحرية عبر هذه الفلسفة.

الشريعة لا تخالف ضرورة الطبيعة ولم تأتِ بما ليس بمعقول

بناءً عليه نحن نقول: المعراج وعدم احتراق إبراهيم عليه السلام، قانون الاحتراق: قلنا أنه جوازي احتمالي لكنه لا يُخرق كل ساعة وكل دقيقة وكل قرن، إنما خُرق في حالات معدودة للمحافظة على

المعجزة، الله لم يستجب للمشركين كل يوم اخرق لنا ناموساً ثم لا يؤمنون، لأنهم الخطأ أنهم يبحثون عن الإله في الطبيعة داخل الطبيعة، إذاً معجزة عدم احتراق إبراهيم عليه السلام جاءت من هنا فوافقت جانب من الجواز والاحتمال في الطبيعة، لم تكن ضد الطبيعة بل هي جزء أنها معقولة من حيث أن هذا القانون يمكن أن يتخلّف، إذاً فوافقت العلوم الطبيعية بمعنى أن قوانينها جوازية احتمالية، طيب أن يحترق أو ألا يحترق هل العقل قادر على أن يتصور أنّ إبراهيم سيحترق وجوباً، وإلا ممكن أن يقول لك: إذا ألقيته يمكن أن يحترق ويمكن ألا يحترق؟ فالعقل المجرد لو وجِّه إليه السؤال ما رأى ناراً قط ولا رأى ورقةً قط فقلت له: هذه الورقة تلقى في نار وهذه النار تُحرِق ما فرصة الاحتراق؟ يقول لك: يمكن أن تحترق ويمكن ألا تحترق الورقة، إذاً وافقت الطبيعة ووافقت جانب الممكن الذي هو غير موجود، الذي هو عدم الاحتراق، إذاً عدم الاحتراق يوافق العقل في أحد وجهيه لأنه ممكن، إذاً عدم احتراق إبراهيم عليه السلام ليس مخالفاً لضروري هنا في الطبيعة وأيضاً هو ناسب الممكن في أحد وجهيه هنا انتظم الشرعي مع الطبيعي مع العقلي، ومشكلة البشرية هي عدم الانتظام يعني ممكن يحلِّق في الطبيعة لكنه ضلّ في العقل وضلّ في الشريعة.

لذلك الآن نقول: عيسى عليه السلام أحيى الموتى، نحن قبل أن نرى الموتى يذهبون ولا يرجعون ما احتمال العودة؟ يمكن أن يعود ويمكن ألا يعود، لكن لمّا أخذنا من الطبيعة أن هؤلاء الموتى لا يعودون حكمنا بعدم عودة الموتى، بناءً على ما رأيناه في الطبيعة، الطبيعي ممكن ضروري ولا جوازي؟ جوازي، إذاً معجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى وافقت الجوازي الطبيعي ووافقت الممكن العقلي، إذاً أصبحت الشريعة لا تخالف ضرورة الطبيعة ولم تأتِ بما ليس بمعقول، طيب ماذا يقولوا هؤلاء؟ إنما يتكلمون بميول نفسية، ميول نفسية، هل يمكن أن أعرف الميراث ضمن المختبر؟ لا يمكن، هل يمكن أن أعرفه بالاحتمالات العقلية؟ لا يمكن، إذاً لا يمكن إلا من جهة الذي هو الشارع في الدليل الجزئي، من يعترض على الميراث إنما يعترض بميول نفسية، طيب هناك حالات اعطينا المرأة أكثر من الرجل، يقول لك: لا تعطيها أكثر من الرجل، إذاً أنت تتصرف مع الأسرة من منطلق فلسفي، رأسمالي، مادي، منفعي، وأنت تتكلم بميولٍ شخصية ممكن أن تتبدل فيما بعد، ممكن أن تتغير، وعليه أنت لا تتكلم بالعقول إنما تتكلم بالميول، فعليّ

أن أميز أنما تتكلم به هو الميل الشخصي وليس العقل، هذا العقل لا يختلف فيه اثنان سواءً كانا كافرين أم مسلمين، أبداً، لكل فعلٍ فاعل.

إذاً بناءً على ذلك الوقاية من الأمراض واجب شرعي، والاعتقاد بأن المرض ليس خلقاً من مخلوقات المادة بل هو خلقٌ لله وأن الله خالق كل شيء، أيضاً فريضة شرعية، وأتت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ) وأيضاً (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ) ما الذي يفسر توافق هذين الحديثين؟ نفهمها من الطبيعة التي هي أنها قوانينها جوازية ولا تنفي خلق الله تعالى، كيف أمرُّ الآن على قوله تعالى:

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ)

(سورة الأنفال: الآية 17)

نفس الشيء قوانين الطبيعة في الرمي، وفي العلاج، وفي الشفاء، أنت لك فعل ولكن الخالق للنتيجة هو الله عز وجل، بناءً عليه تحرير قلب الإنسان تحريراً حقيقياً أنك لست عبداً لقوانين الطبيعة بل أنت عبدٌ لمن يخلق نتائج هذه القوانين بل إن هذه القوانين أيضاً مخلوقة من مخلوقات الله لأن وجودها له بداية ولا يمكن أن تتسلسل حوادث كل واحدة لها بداية أن تتسلسل جميعاً إلى ما لا بداية، وهذا ينفيه العقل وهو ماذا؟ التسلسل مستحيل، وهو توالي حوادث بمعنى حوادث لها بداية إلى ما لا بداية أبداً، لذلك هذا معنى القيوم، الحافظ، إذاً الطبيعة تدلك على أن تتعلم من هذا الكتاب العزيز ومن سنّة النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من هذه الأمور الشرعية.

الآن ما يتعلق بالحجاب، هل هو عادي، أم عبادة، أم معاملات، أم عقلي؟ عبادة؟ يعني لا يصح إلا بنية، يعني إذا المرأة لبست الحجاب بلا نية عليها أن تنزعه وتلبسه مرةً أخرى، وإذا سنة أو سنتين تلبس الحجاب بلا نية مراعاةً للمجتمع مكرهة باب العادات فعليها أن تقضي سنتين بدلاً منهما بالحجاب، هكذا؟ لا يصح إلا بماذا؟ بنية.

طيب بناءً على هذا المخطط الذي أمامنا نحن نريد في هذا المخطط أن نقف على بوابة نظرية المعرفة، لن ندخل اليوم في هذه البوابة بل سنقف على عتبة هذه النظرية، لو جئت إلى مسائل الإيمان: الولاء والبراء، الحاكمية، لو جئت إلى مسائل السياسة والمصالح لابد أن يأخذ كل شيء موقع له في هذه النظرية حتى يكون لوحة فسيفساء من مجموع الجزيئات الشاملة لهذه النظرية، إذاً نحن في هذه الحالة التي نتكلم عنها نقول: إنّ أي مسألة لا يمكن أن تخرج عن أحد الأقسام الثلاثة ولذلك من أراد أن يتكلم في مسألة عليه أن يضعها حيث هي، لو قلت في موضوع عذاب القبر وأردد كلام عشر ساعات ربما لا ينتهي، سأقول له: ضع هذه المسألة في موقعها المناسب، هل أُحَكِّم على عالم الغيب قوانين الطبيعة؟ طيب فإذا كانت قوانين الطبيعة لا تحكم على الغيبيات فلماذا تريد أن تستكشف يأجوج ومأجوج بطرق تجريبية، تريد أن تستكشف يأجوج ومأجوج بطائرات الاستطلاع وبالأشعة المختلفة وأنت تبحث عن يأجوج ومأجوج، أليسوا غيباً؟! طيب لماذا تضع كاميرا داخل القبر لتعلم أن هذا يعذب أو لا يعذب ما دام أن الغيب أصلاً لا يخضع لقوانين الطبيعة؟ فبدلاً من أن تذهب إلى القبر لماذا لا تصور جسدك صورةً طبقية لتكتشف "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ".

(عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ)

(صحيح البخاري ومسلم)

إذاً أنا مشكلتي مع إقحام الفلسفة الغربية المادية الدنيوية التي لا تؤمن إلا بالثنائي ولا تؤمن بهذا الثالث، أقحمته على عالم الغيبيات وهذا من باب الإكراهات الثقافية، أنت تريد أن تتدخل في المواريث ليس بعقل ولا بعلم تجريبي إنما تريد أن تفرض عليّ فلسفتك، عندما تفسر السلوك الإنساني على أساس الجنس والإقتصاد وتنفي تأثير الأخلاق والقيم في السلوك والغيبيات في السلوك لأنك تريد أن تنكر الدين إذاً أنت تتحكم في السلوك الإنساني على وفق فلسفة مادية دنيوية وتريد أن تجبرني أنا كمسلم أن ألتزم هذا التفسير

المادي الدنيوي للعلاقة بين الرجل والمرأة وأنها علاقة تجارية واقتصادية كما لو كانت دكاناً والشركاء متقاتلون على تقاسم رأسمال الشركة فنخلص إلى أنها بالتساوي، بناءً على ما سبق سنأتي إلى أننا عندما نحاور أي محاورة في أي فكر غربي أو شرقي لا نقع في مزلق المناقشة في الجزئي، لأن المناقشة في الجزئي لن تنتهي، وسيبقى الباب موارباً للصراع والخلاف، علينا أن نأتي بنظرية المعرفة كاملةً ونشرح نظرية المعرفة فإذا كان غيبياً فليس من شأن المختبر، وليس من شأن العقل لأن العقل بنفسه لا يصل إلى الغيبي، العقل لو فكر مئة عام لا يصل إلى الصراط، ولا يصل إلى عذاب القبر.

البحث التجريبي انطلق من الإيمان بالله سبحانه وتعالى

بناءً على ذلك لو قلنا الحدود إلى من ينكر الحدود الشرعية هل هو مُستَنِد للمختبر؟ هل هو مُستَنِد للعقل؟ أبداً، هو مستند إلى فلسفة ورأي كما كان هو سبباً في مقتل عشرات الملايين من البشر في الحروب هو يريد أيضاً أن يطبّق هذه الفلسفة المادية المتوحشة الدنيوية الرأسمالية على قيم ومثل إسلامية عليا وأخلاقية رفيعة من رب العالمين وعلى شرعٍ مُنَزَّلٍ من عند الله الحكيم الخبير، إذاً من هنا نضع الحوار في إطار صحيح وفي إطار معرفي علمي، بمعنى الطبيعة لم تعارض الشريعة، ولا الشريعة عارضت العقل، فليحمل ثنائيات القطيعة بين العقل والدين إلى حيث ولدت في الغرب في الصراع بين أديان محرفة وأديان وضعية اختلقها الناس فليذهب بهذا الصراع إلى حيث منشأه، لا أن يأتي إلينا حيث كان منشأ العلوم الطبيعية كما قدحه الحسن بن الهيثم الذي هو المنهج التجريبي من السبر والتقسيم الأصولي، بمعنى حتى المنهج الطبيعي التجريبي عند المسلمين بدأ من علم أصول الفقه وهو السبر والتقسيم لأنه يقوم على تعداد العوامل المؤثرة في التحريم بمعنى هل الخمر حرمت لأنها من العنب أو من التمر أو هل هي لأنها حمراء أو لأن طعمها كذا أو لكذا أو لأنها مسكرة؟ هذا هو التقسيم، الذي هو العوامل التي تؤثر في الحكم، يبدأ بعد ذلك الفقيه باختبار كل عامل من هذه العوامل وهذا هو صميم البحث التجريبي.

إذاً البحث التجريبي انطلق من وسط الإيمان بالله سبحانه وتعالى لذلك لا يمكن أن تجد تكاملاً بين العقل والطبيعة والشريعة والدين إلا في هذا الدين فقط أما ما سواه ستجد تناقضات وثنائيات خطيرة كفيلة

بالاستمرار في تدمير الإنسانية لذلك الذي أريد أن أكد عليه الذي هو هناك مسائل كثيرة منها الحجاب وحكم الحجاب لأن الذي أراد أن يُلَبِّسَ على المسلمين والمسلمات في حكم الحجاب خلط بين هذا العادي والعادي الذي هو في الفقه الذي هو يصح دون النية بمعنى أنه واجب لكنه يصح بلا نية، واضح إلى آخره هناك تفصيلات كثيرة.

الآن أكثرهم يقول: الإسلام لا يصلح في هذا الزمن، غير صالح لماذا؟ لأنه غير قادر على تحقيق المصالح، طيب إذا كانت الآن جميع المصالح الموجودة حالياً يمكن مراعاتها تحت أصل كلي الذي هو جنس المصالح وفتح الباب إلى الوسائل لأنه في عندنا سد الذرائع أيضاً هناك فتح الذرائع، إذا قال:

سدُّ الذرائع إلى المحرمِ حتمٌ كفتحها إلى المنحتمِ

(عبد الله الشنقيطي)

يعني المنحتم والواجب يجب أن تفتح له الذرائع فإذا تعين التعليم بالابتدائي والاعدادي والثانوي وتعليم عالي يجب فتح هذه الذرائع إلى التعليم، لذلك نجد في علومنا الأصيلة أنها لم تُغفل هذا الأمر، فتجد أن أول درس يبدأه ابن عاشر في الفقه المالكي في منظومته أول درس يدرسه الطالب هو هذا المخطط، ليس هذا المخطط بِدعاً من القول، هذا المخطط موجود، لذلك أول بيت يبدأ الطالب بدراسته قوله:

وَحُكْمُنا العَقْلِي قَضيَّةٌ بِلا وَقْفٍ عَلى عَادَةٍ أَوْ وَضْعٍ جَلاَ

(عبد الواحد بن عاشر)

هذا هو البيت الأول لابن عاشر، قسم الثلاثة عقلي لا يتوقف على الطبيعة ولا يتوقف على الشرعي فقال: وحكمنا العقلي قضيةٌ بلا وقفٍ على عادةٍ أو وضعٍ جلا، ثم قال: أقسامه بالحصر تُماز وهي الوجوب والاستحالة والجواز، أين التعارض؟ إذاً نحن في أول درس يُلّقنه الطالب في فقهنا وفي عقيدتنا هو هذا الدرس، ليميز بينما هو شرعي، ويميز بينما هو عقلي، ويميز بينما هو طبيعي، الآن لو جئت إلى الحاكمية (الحكم بالشريعة): هناك نظم إدارية للدولة هذه مفتوحة في الشريعة، لو جئت إلى الولاء والبراء، كيف يكون الولاء والبراء؟ ممكن الولاء والبراء: أصير أتولى مسلماً وأحارب مسلماً آخر إذا أخطأت فهم الولاء والبراء، لذلك هذا المخطط كثير من القضايا الإشكالية التي

نعاني منها اليوم يمكن أن تطرح مسألةً مسألة، وكل مسألة يُبدأ بحلها على ضوء هذه النظرية التي هي نظرية المعرفة، أكتفي بهذا القدر إن شاء الله تعالى.

أسئلة الطلاب:

س. ما الذي حدّد بأن هذه المعارف ضرورية أو هذه المعارف عادية أو احتمالية وجوازية؟ فلو كان العقل مجرداً فعلاً فهل يمكننا أن نعرف بدون تجريب ونحكم على هذه المعارف أنها هي ضرورية أم لا؟

ج. بالنسبة لمن يحكم على العقل الضروري هو البديهة فإن لم يكن ضرورياً يعني مثل (1+1) بديهةً يساوي (2) هل هناك من اختلاف؟ البديهة دليلٌ بنفسها لأنها مسلّمة، ولما نتكلم في أي مجال بحثي يبدأ الطالب من المسلّمات ذلك العلم، إذاً المسلّم ضروريٌ لا يحتاج إلى دليل.

طيب الآن هل كل أنواع الضروري على رتبة واحدة؟ لا، هناك ضروري وهناك نظري، يعني هناك عقلي ضروري مثل: (1+ س = 6) إذاً (س = 5) هذا بالبديهة لكن لو قلت: ربع عُشر الأربعين، بدأتم تفكرون لكن في النهاية النتيجة هي الجواب واحد، سنخرج من القاعة ونحن متفقون على أن الجواب واحد لكنه حصل بعد تأمل مثل المسائل الرياضية الطويلة النتيجة قاطعة لكن حصلنا عليها بعد نظر، إذاً إذا كان عقلي بديهي فيكون ضروري إذا احتاج إلى تأمل لكننا سنتفق حتماً على النتيجة وأنها قطعية عندئذٍ سيكون نظري.

النار والاحتراق هذا من العاديات والطبيعيات، وهذا كله جوازي احتمالي، ما أحد قال من الفلاسفة القدماء: أنّ الرابط بين الاحتراق والنار ضروري، هذا فقط كلام الفلاسفة، لكن العلم الطبيعي الحالي بتطور الإنسان ومعرفته الدقيقة هو قال: إنّ قوانين الطبيعة جوازية احتمالية، لا يعني أنها ستخرق كل ساعة لا هي مطّردة ونحن نطلع على اطِّرادها ولولا اطِّرادها لهلكت الدنيا، لذلك الله لم يُجِبْ المشركين الذين يبحثون عن المعجزات بشكل دوري ودائم كما لو كانت طلبات دلال، لا، لذلك حتى لا تخرق المعجزة، الذي يحدد هذا المجال الطبيعي هم أهل الاختصاص ونحن من ورائهم فهم يتكلمون بأنها جوازي احتمالي بناءً عليه يثبت الخلق لله عز وجل وكذلك أنّ هذا القانون لا يعمل بنفسه إنما هو موجود بإيجاد الله تعالى له، فكيف يكون هو خالقاً والله ليس بخالق!.

س1. هل يمكن نتائج المختبر أن تتعارض مع الدليل الشرعي؟

س2. عندما تكلمت عن الله يعني هل الله هو ذات أو كائن محدد نحن ممكن أن نعرفه؟ عندما نقول الله ماذا يعني؟

جواب السؤال الثاني: الله سبحانه وتعالى وصف لنا ذاته قال:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

(سورة الشورى: الآية 11)

فلا تبحث في ذاته لأنه لا يخضع لقوانين الطبيعة، ودماغنا مصمم لقانون الطبيعة، لكنه وجودٌ، شيءٌ، ذات، حقيقة، وليس مطلقاً ذهنياً. واضح، هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من دروس العقيدة يحتاج إلى مزيد من الدروس الشرعية حتى يثبت الإيمان.

جواب السؤال الأول: نظرية التطور هي فلسفة وليست نظرية، بمعنى أصحابها لم يثبتوها بالمختبر إنما هم انطلقوا من رؤى معينة فبنوا فلسفة بناءً على ملاحظات لكنها لم ترقى إلى نظرية بل على العكس التصريحات العلمية تقول إنّ هذا الإنسان هو كما كان عليه عبر التاريخ الماضي ولم يكن متغيراً وهذا بعد دراسات الذي هو ماذا؟ الجينات ودراسة الكروموسومات: إنّ الإنسان لا يمكن أن ينتقل إلى جنس آخر، وهنا الطبيعة وافقت الشريعة وأنّ الله عز وجل خلق آدم بيديه خلقاً مباشراً لم يكن متطوراً عن جنسٍ سابق.

سؤال: في العقلي الممكن فرضنا أنه غير موجود وعن طريق مُرَجِّح أصبح موجود، هل هناك جزء أو أشخاص يقولون أنه موجود أصلاً؟

الجواب: هو احتمالي جوازي، ممكن هو موجود الآن، الكون الآن قطعاً موجود، لكنه من حيث الاحتمال العقلي يحتمل الوجود أو العدم، لكن ما الذي الآن يشهد له بالوجود؟ الحس، والحس دليل إذاً نحن نقول انتقاله من الإمكان وجوداً وعدماً إلى أن يصبح راجحاً لابد أن يكون هناك مُرَجِّح ولا يمكن أن ينتقل بذاته وإلا ضربنا الرياضيات أصبح الراجح يساوي الممكن، هذا معنى قول ابن عاشور:

لو حَدَثَتْ بِنَفْسِهَا الأَكْوانُ لَأَجْتَمَعَ التَّساوِي والرُّجْحَانُ

(عبد الواحد بن عاشر)

وهذا محال.

السؤال الثاني: هل نستطيع أن ننقل شخص مثلاً ممن يعتبر القوانين العادية الضرورية إلى جوازية احتمالية؟

الجواب: هو العلم يشهد بأنها جوازية والعقل يشهد بأنها جوازية يعني نحن نقول: علماء الطبيعة في الفيزياء الكم يشهدون ذلك، لكن علمائنا قبل فيزياء الكم أثبتوا أنها جوازية كأبي حامد الغزالي أثبتها بضرورات ليس من باب الفلسفة إنما أثبتها بضرورات أنها جوازية وهناك كتاب قيم: الكون بين السببية والنظام يعني جيد في هذا الباب.

سؤال: الله لا يخضع للطبيعة الذي خلقها، كيف يخضع العقل الذي خلق؟

الجواب: العقل ليس هو الذي يُخضع الله، العقل هو مَلَكَة، سوفت وير، كيف الكمبيوتر فيه سوفت وير، موجود منذ الخلق ليدل الإنسان على الخالق، فهو لا يخضع العقل الخالق لمقاييسه بل هو الذي يعني مثل الكمبيوتر أنت تعبي البيانات والكمبيوتر يعطيك نتائج صحيحة لكن الكمبيوتر لا يخضع لبياناتك إنما هو مُشَغِّل يستطيع أن يُشَغِّل وبالتالي ستجد أن العقل ضمن القوانين التي أوجدناها أنه لم يتعارض مع الله بل هو دالٌّ عليه وبالتالي قال لك: لا يمكن أن يكون الخالق للطبيعة جزءً منها، مستحيل، لأنه لو كان كذلك لكان في صفاتها ولكان ممكناً أيضاً، بمعنى أنه ممكن الوجود وممكن، فلا يمكن بناءً على هذا أن يكون الإله داخل الطبيعة وبالتالي العقل ينفي وجود الإله داخل الطبيعة وبناءً عليه يقول لك لا تُخضِع الإله إلى قوانين الطبيعة لأنه لو كان كذلك لكان جزءً منها فكيف يكون خالقاً؟ لا، لذلك نفي الحلول أو الإتحاد عقلي ونقلي لذلك جاء النقل أيضاً موافقاً للعقل، نستطيع أن نقول: إنّ العقل في هذه الجبلّة الإنسانية هو المهبط كمهبط الطائرة الذي سيتنزل عليه الوحي، ولولا قواطع العقول لم يجد الوحي له مكاناً، لذلك الوحي يتنزل على هذا المهبط والإلحاد يقوم بتحطيم هذا المهبط يعني الإلحاد لا يشوه المعرفة فقط، الإلحاد يحطم القواعد التي تقام عليها المعرفة وهذه هي المشكلة أيضاً مع الإلحاد أن الإسلام اليوم يجب أن يسترد قواعد العقل الإنساني في مكافحة الميول اللا ديني الإلحادي من أجل تثبيت الوحي في حياة الإنسانية.

سؤال: هل ممكن أن تنتقل المعاملة الدينية التي نتقرب بها إلى الله لعبادة؟

الجواب: طبعاً البيع والشراء بقصد طاعة الله يصبح عبادة، يعني أنا لو سددت دين صديقي الغائب وجعلتها له مفاجأة يصح السداد أم لا يصح؟ يصح، طيب لو أخرجت زكاة ماله في غيبته دون توكيل؟ لا

تصح، لماذا؟ إذاً لاحظوا أن الفارق في الصِحَّة أما من حيث الأجر فالأجر في العبادة ويمكن أن يكون أيضاً في المعاملة.

سؤال: شكراً دكتور على هذه المحاضرة، الحقيقة يعني عندما كان العنوان نظرية المعرفة بين الطبيعة والشريعة، طبعاً حضرتك تعرف أكيد أن نظرية المعرفة هنا جاءت من منظور إسلامي إلى حدٍ ما مع بعض التعليقات بينما نظرية المعرفة الغربية المادية أمر آخر يعني ممكن يكون هناك تفصيل مقارنة بين نظرية المعرفة من منظور إسلامي ونظرية المعرفة من منظور غير إسلامي؟ هذا سؤال.

السؤال الآخر: الشيء الحادثة مثلاً الكون حادثة هل يستطيع الطالب مثلنا أو مثلكم أن يثبت بداية للكون من علم الفيزياء والفلك؟ طبعاً، كيف؟ أثبتوه وانتهوا، كيف؟ أثبتوا الوقت الذي بدأ فيه الكون، كيف حتى نثبت أن الكون حادث؟ عن طريق تجارب في دائرة الحسابات رياضية وانتهوا من الموضوع،

الآن سأجاوب على هذا السؤال هل هناك أحد يريد أن يجاوب؟ نظرية الإنفجار العظيمة توضح في أي لحظة نشأ الكون، هذه النظرية تفسر لكن لا تثبت بداية، الحقيقة إثبات البداية كان عام 1929 بإثبات توسع الكون، قالوا: بما أن الكون يتوسع بمعنى أن المجرات تبتعد عن بعضها إذا عدنا في الزمن إلى الوراء فإنه كان قد بدأ بالنقطة ومن هنا جاءت نظرية الإنفجار العظيم التي تفسر، إذاً توسع الكون يفسر أن للكون بداية هذا أحد الأدلة، فنحن نريد من الإنسان المسلم المثقف أن يكون على اطلاع بالعلوم العادية الطبيعية لكي يستطيع الإجابة على مثل هذه الأسئلة وطبعاً توسع الكون ورد في النص القرآني:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

(سورة الذاريات: الآية 47)

إذاً توسع البناء.

الأستاذ: هو عندنا في نص ابن عاشر في المقدمة العقدية تَبَيَّنَ أن التغيرات الطارئة على الحوادث هي مؤكدة على أنها حادثة وبالتالي التوسع أو الضيق سيؤدي في النهاية إلى أنه أن يكون حادثاً ولذلك هذا يمكن أن يثبت عقلاً ويمكن أن يثبت أيضاً في الطبيعة وهذا كلٌ يؤكد على التلاقي بين الطبيعة والشريعة.

السؤال: أن علم التجريب يعود إلى أصول الفقه ما الدليل على ذلك؟

الجواب: علم التجريب لم يبدأ وإنما قفزة حتى نقول: لا نضيع من سبق يعني إنما كان هناك قفزة نوعية يعني على يد الحسن بن الهيثم طريق السبر والتقسيم، بالنسبة للمنهج التجريبي من حيث طبعاً ليس

مجرد التلاقي بل هذا مثبت وهناك كتب ألفت في منهج الحسن بن الهيثم التجريبي والكتاب الذي اطلعت عليه الذي ينص ويبين كيف اقتبس الحسن بن الهيثم هو موجود في مكتبة الجامعة، موجود عندي ممكن يعني ابحث فيه له علاقة باسم حسن بن الهيثم يعني جزء من عنوانه الحسن بن الهيثم، جزء من عنوان الكتاب، هو على كل حال ضمن مكتبتي، أنا عامل مكتبة في منهجية البحث خاصةً، يعني ليست القضية دروشة أو وعظية، هناك يعني ما يبين من أين خرج المنهج التجريبي على يد الحسن وهو السبر والتقسيم الأصولي وكتبت هذا في مقالة الذي هو لماذا تقدم الغرب دون إيمان وتأخر المسلمون وبين أيديهم القرآن؟ أشرت للحسن بن الهيثم.

سؤال: كيف استدل العلماء على حدوث الكون قبل العلم التجريبي؟

الجواب:علامة التَغَيُّب، يعني الآن السؤال كيف استدل العلماء على حدوث الكون قبل العلم التجريبي، قبل هذا التطور في العلم التجريبي كيف لمثل أبي حامد الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة أن يقول بارتباط العادي بين السبب والنتيجة وهو ما أكده العلم الطبيعي، وكذلك أن الكون له بداية، ميزة أبي حامد الغزالي وحُقَّ له أن يُلقب بحجة الإسلام، أنه أتى إلى قوانين الفلسفة فوجد أن القانون صحيح لكن المادة التي تملأ به غلط فعبّر على أن خطأ الفلاسفة ليس من جهة نفس القانون بل من جهة المادة، يعني مثلاً تقول: هكذا يعبرون، كل حصان صاهٍ مثلاً، هذا صحيح لكن لو جئت إلى صورة معلقة على الجدار فيها حصان قلت هذا حصان قال نعم قال: إذاً هو صاهٍ، لكنه ليس صهلاً هل الخطأ في القانون أو في المادة التي وضعت في القانون؟ المادة التي هي الصورة التي وضعت في القانون، فكان الفلاسفة معجبون بقوانينهم لكن عندما جاء أبو حامد لخص المشكلة أنهم فيما يملأون به من المادة، فلما تكلم تكلم نقل الفلسفة بدلاً من أنها كانت موغلة في التنظير انتقل إلى تطبيقها تطبيقاً صحيحاً على الحسّيات فبدأ ينتقل على الحسيات وطرأ يتكلم على الارتباط بين السبب والنتيجة وأنه عادي وليس ضرورياً لأنه لو حدث أن كان ضرورياً لأبطل المعجزة هو كان يستدل على التغير على أنه سمة الحدوث فما تغير لابد أن يكون حادثاً وهو ما تفضل به أستاذنا لمّا تكلم عن أن الكون يتوسع إذاً كان ضيقاً، فلما استنتج هذه النتيجة أثبت أن الكون حادث، طبعاً هو في كتابه (تهافت الفلاسفة) وطبعاً كل كتب الغزالي يعني مثل (الإقتصاد في الإعتقاد) هذا من خيرة كتب الإسلام.

نختم بالأخت الفاضلة:

السؤال: حكم احتمالية الجوازية إن شاء الله أن يكون السؤال صح، هل يمكن أن أطابق كل المعجزات التي صارت على يد الأنبياء لهذا الحكم ولا هو مختص بمعجزات معينة؟

السؤال الثاني: لو كان مثلاً الاحتمالية الجوازية أنه مثلاً قانون طبيعي ثابت يحدث له خرق عند نقطة معينة أو في حالة معينة هذه الحالة هي فقط بيد الله عز وجل أو هو قانون داخل قانون؟

الجواب: سواء كان من خالف القانون أو ما عمل به القانون نسلم بأن النتيجة خلقٌ إلهي لأن القانون نفسه لما كان احتمالياً لم يكن هذا الاحتمالي مؤدياً إلى ضرورة إلى نتيجة ضرورية وعليه عندما نقول: إن القانون مثل احتراق الورقة قانون طبيعي أم لا؟ قانون طبيعي، يتخلَّف؟ إمكانية التخلُّف ضئيلة حتى لو احترقت الورقة سيكون الاحتراق خلقاً إلهياً، لماذا؟ لأنها لمّا لم يكن الارتباط ضروري إذاً صار الارتباط عادي، فإذا كان الارتباط عادياً فمعنى ذلك أن النتيجة لا تترتب ضرورةً سواء وافقت القانون أم خالفته مثال: الآن هذه كهرباء ويوجد كبسة هناك، أنا كبست الكبسة اشتعل النور، هل كبستي هذه هي التي أشعلت النور؟ هل هي التي ولّدت النور أم الكهرباء؟ الكهرباء هي التي ولّدت النور، وكذلك فعل القانون مثل كبستي أنا، لأن الكهرباء خلق من الله، واللمبة خلق من الله، أنا كإنسان فقط كبست الكبسة، وعليه القانون ونتيجة القانون خلقٌ إلهي، وهذا يعني تحرير حقيقي لقلب الإنسان من المادة لأنه إذا استولت المادة على قلب الإنسان سيعيد إنتاج هذا القانون الطبيعي على السلوك كما فعل الغرب وبعد ذلك يصبح السلوك الإنساني ناتج عن قهر الطبيعة، بمعنى الشذوذ الجنسي نتيجة أنزيمات، طيب الجريمة لأنه رأسه بالشكل كذا، وجبهته واسعة، ولأنه إلخ، إذاً تم تفسير السلوك الإنساني بناءً على قوانين طبيعية، إذاً أنا أمام حرية أم جبرية؟ أمام جبرية لذلك العالم الغربي لا يعرف الحرية، هو جبريٌّ بامتياز ويمارس القهر الجبري الطبيعي حتى في الاقتصاد، حتى في علم النفس، يعني الآن تفسير أي سلوك يريد أن يخضعه لماذا؟ الاقتصاد والجنس، ونحن تأثرنا بذلك، عندما تحدث جريمة عندنا في الأردن رجل قتل زوجته وأولاده، ماذا يتبادر لكم من تفسير؟ البطالة، والإذاعات تصدع بالبطالة، هذا مجرم.

لذلك نحن الآن لأننا أهملنا نظريتنا أصبحنا نفسر السلوك الإسلامي على أساس ماذا؟ التفسير الغربي، يعني الآن النماذج التي في كليات التربية والاقتصاد هي نماذج معادية للتدين بمعنى هذا الإنسان لماذا صار عنده مشكلة نفسية؟ لأنه لا يزني، عنده كبت، إذاً أصبحت الفلسفة الغربية تتحكم في علاج تربوي، الفلسفة الغربية الآن تتحكم على النص، التفكيكية تتحكم على دلالة النص، تتحكم على الاقتصاد، شح الموارد، كم مرة نسمع شح الموارد؟ تملأ الدنيا، الفقر أصبح جبري وقهري إذاً أنتم هذه حالة لا تسألوا

فيها لأنه هذا شح موارد، بناءً عليه أنه شح موارد إذاً اسكتوا، بناءً على هذا التفسير الغربي هو تفسير اجباري جبري قهري للسلوك الإنساني ومعنى ذلك نزع الحرية والاختيار، لذلك الفلسفة الغربية مثل فلسفة (أوغست كونت) هي فلسفة جبرية بإمتياز لا تعرف الحرية، العالم الغربي لا يعرف الحرية، الذي يعرف الحرية هو الذي يؤمن بأن القانون الطبيعي ليس هو الخالق، وأن نتائج المختبر لها خالق، ولذلك هو لا يرتبط بالمادة إنما يتعلق قلبه برب المادة وهذا هو أساس الحرية الحقيقي لا أن يصبح الإنسان عبداً لقوانين الطبيعة، فتحل قوانين الطبيعة محل الأوثان في الجاهلية ويصبح الإنسان أسيراً لهذا القانون الطبيعي.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله تعالى، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.